وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المستقبل/ كلية العلوم الإدارية
قسم إدارة الأعمال/ المرحلة الثانية
اللغة العربية/ المحاضرة الثالثة
م.م أحمد محمد الدليميّ

النثر الجاهلي وخصائصه (الخطابة)

تمهيد:

النثر هو الذي عُني النقاد ببحثه ودراسته بوصفه أدباً يُقصد به التأثير في نفوس السامعين بالصياغة وجمال الأداء. وإذا اقتصرت الكتابة على الأغراض السياسية والتجارية لصعوبة أدواتها، فقد كان النثر الجاهلي موضوع خلاف شديد بين العلماء من مستشرقين وعرب.

قال ابن رشيق: (ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره)، ويُفهم من ذلك أن **الشعر** كان **أسهل حفظاً**، أما **النثر** فكان **أقل مادة وأشد عرضة للضياع**، لاحتياجه إلى التفكير والروية، ووسائل التدوين التي لم تكن متاحة على نطاق واسع.

أنواع النثر الجاهلي:

يمكن تقسيم النثر الجاهلي إلى عدة أنواع، وهي: **(الخطابة، الأمثال والحكم، سجع الكهان، الوصايا، القصص)**.

الخطابة:

تُعد الخطابة من فنون النثر الشفاهي، وقد عُرفت منذ العصر الجاهلي، إذ استعملها العرب في عرض قضاياهم، والرد على خصومهم، واستمالة السامعين وإقناعهم، وهي وسيلة إقناع وإمتاع، وأصلها أن تتلقاها الأذن لحظة إلقائها، ولا سيما في عصر غلبت فيه الأُمية.

عناصرها الاتصالية:

1. المُرسِل (الخطيب).
2. الرسالة (الخطبة).
3. المُرسَل إليه (المُستمعون).
4. قنوات الاتصال (الأذن والعين).

مكانة الخطابة في العصر الجاهلي:

كانت للخطابة في العصر الجاهلي مكانة مرموقة عند العرب، إذ تلت الشعر في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم. وقد توافرت لها أسباب الازدهار، لما امتلكوه من صلابة اللسان، وحضور البديهة، كما كانت المنازعات والخصومات ومفاخرات الأحساب والأنساب مجالاً واسعاً لازدهارها.

وقد اختلف الباحثون في تقدير مكانتها؛ فأنكر **(طه حسين)** أن تكون للعرب قبل الإسلام خطابة ذات شأن، ورأى أنها فن إسلامي خالص، أما **(شوقي ضيف)** فذهب إلى أن الخطابة الجاهلية كانت مزدهرة، وأن منزلة الخطيب كانت فوق منزلة الشاعر، مستنداً إلى أقوال أبي عمرو بن العلاء والجاحظ.

والحق أن الشعر كان أكثر ازدهاراً وعدداً، وقد يجمع الشاعر بين الشعر والخطابة، مثل (عامر بن الطفيل)، و(عمرو بن كلثوم).

وكان الشعر أسهل حفظاً، لذلك بقي شعر الشعراء وذهب كثير من كلام الخطباء، لندرة التدوين في الجاهلية.

أنواع الخطابة:

أ- خطب المنافرة:

المنافرة أن يفخر رجل على رجل، أو قبيلة على قبيلة، بحضور حكم يفصل بينهما، ومن أشهرها منافرة علقمة وعامر بن الطفيل، وقد جرى بينهما حوار شديد، حكم فيه هرم بن قطبة الغزاري.

ومن أمثلة قول عامر:

(والله لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً).

وقال علقمة:

(والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً).

ب- خطب الوعظ:

تدور حول مشكلة الموت والمعاناة والضياع، ومن أشهرها خطبة قس بن ساعدة الإيادي التي ألقاها في سوق عكاظ، ومما جاء فيها:

(أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت).

ج- خطب الوفادة:

كانت شائعة حين يفد العرب على الملوك والأمراء من الغساسنة أو المناذرة، ومن أشهرها خطبة أكثم بن صيفي بين يدي كسرى، ومن قوله:

(إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمّها نفعاً، وخير الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء، وآفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر...).

ونُلاحظ فيها قصر الجمل، وكثرة الحكم والأمثال، وبعض السجع، مع تفكك الأفكار وغياب الوحدة الموضوعية.

د- خطب الحرب:

تدور حول إثارة الحمية، والدعوة إلى القتال والصبر، ومن أشهرها خطبة هاني بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار بين العرب والفرس، قال فيها:

(يا معشر بكر! هالك معذور خير من ناجٍ فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا، فما للمنايا بد...).

هـ- ومن أنواع الخطابة كذلك: (خطب الزواج (الإملاك)، وخطب إصلاح ذات البين، وخطب التعزية والتهنئة).

خصائص الخطابة فى العصر الجاهلى:

أ- **الإيجاز وقصر الجمل**، تميل الخطابة الجاهلية إلى العبارة المكثفة والجملة القصيرة، لسهولة الحفظ وسرعة التأثير.

ب- **كثرة الحكم والأمثال**، تعتمد الخطبة على الحكمة والتجربة، وتكثر فيها العبارات الموجزة ذات الطابع التعليمي.

ج- **الاعتماد على الإقناع العقلي والعاطفي معاً**، أي انها تجمع بين استمالة العاطفة (الحمية، الفخر)، والتأثير العقلي (الحجج، المقارنات، المفاخرة).

د- **وضوح اللغة وجزالتها**، تمتاز بالألفاظ القوية والعبارات المباشرة البعيدة عن الغموض.

ه- **الارتباط بالحياة القبلية**، أي انها تعكس واقع المجتمع الجاهلي القائم على العصبية القبلية، والمفاخرة، والدفاع عن الشرف.

و- **تعدد الأغراض**، مثل: المُنافرات، والوعظ، والحروب.

ز- **التركيز على القيم العربية**، مثل: الشجاعة، والكرم، وحماية الجار، والوفاء، والنسب.

****